

محب الدين أبي صهيب الناصري الأثري

قدم لها فضيلة الشيخ

أبو محمد إبراهيم الإبراهيم

مصدر هذه المادة :





قيل في الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. أما بعد:

فما أجمل ما كتب في هذا الرسالة فقد أجاد كاتبها وأفاد وأمتع، بل ولامس شغف القلب بكلماته الرائعة وأسلوبه العذب، وقد أحسن الاختيار حيث كتب في موضوع جرحه قد اندمل وغار.

وأصبح القابض على الجمر قليلا في زمن كثرت فيه الفتن وقلَّ المعين والمثبت إلا الله سبحانه وتعالى.

فأسأل الله العلي القدير أن يكتب له الأجر وينتفع بهذه الرسالة كاتبها وقارئها. آمين.

❋ ❋ ❋

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه...

أما بعد:

فقد سألني أحد الإخوة –وكان للتو قد دخل باب الصلاح، وولج باب التدين لكنه– هاله أمر يغشى ساحة التدين، ويسري وسط الصالحين؛ ألا وهو أن بعض هؤلاء يخرجون ويعلنون التمرد على منهج الله، ويظهرون الفسق، ويفشون المعصية، فما بالهم؟! وبماذا توصيني؟

فأجبت عليه بجوابي.

ثم أشار علي بعض إخواني أن أكتب هذا الجواب علّه أن يستفيد منه غير هذا السائل، فأجبت لذلك، فكتبت هذه الرسالة اللطيفة علّها أن تجد إلى قلب من ينصت لها طريقا فتنفعه بإذن الله، ووسمتها بعنوان "أنت أيها القادم على الجمر".

ولعله لا يخفى على أحد مغزى هذا العنوان، إذ هو إخبار النبي ﷺ عن هذا العصر الذي نعيش فيه، ولكثرة ما نرى من إعلان الفسق والفجور، والملهيات والمهلكات، حتى غدى القابض على دينه كالقابض على الجمر، فما جاء فيها من حديث أو أثر فقد ثبت فيما وقفت عليه عند أهل العلم. وللأهمية جرى التنبيه إذ لم أكتب التخريج لها أثناء الرسالة.

أيها القارئ الكريم ما جاء في هذه الرسالة من صواب؛ فهو من الله وبفضله؛ فله الفضل والإحسان، وما كان فيها من خطأ؛ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان.

وجزى الله خيرا كل من أسدى نصيحة أو دل على خير أو أعان برأي مشورة وأخص زوجي وأبا محمد وكنيَّه ولمن هو لفهد أبوه. والحمد لله رب العالمين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيـــد

أخي الحبيب: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله:

فإن أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمـــد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكـــل ضلالة في النار.. أما بعد:

فاسمع أخي ومن يهمه الأمر؛ فإنها النصيحة التي حثنـــا عليهـــا أرحم الناس أجمعين، وخاتم النبيين والمرسلين، محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعلى من تمثل هديهم، وسلك طريقهم، ونهج نهجهم، وتخلق خلقهم، وجاهد جهادهم إلى يـــوم الدين، إذ قال بأبي هو وأمي: «**الدين النصيحة، الدين النصـــيحة، الدين النصيحة**».

وها أنا ذا أرجو الله أن أكون ممن تمثل هذه الوصية ولتصغ إليّ إذًا:

يـــا إخـــوتي فلتســـمعوا مني النصـيحة والعتــاب
مـــن مخلـــص في حـــبكم يرجو لكم حسن الثـــواب
يخشى على هذي الوجـــوه من الحميم مـــن العـــذاب
يـــا إخـــوتي لا تغضـــبوا فــــالحق أولى أن يجـــاب

أخاطبك أنت أخي بخطابي هذا؛ عساي أن به أنفع، وأزيل عتم الجهل به وأقلع، أُبِينُ فيها حقيقة الأمر، وأنها حقا بطعم التمر، وإن كانت بلفظ القابض على الجمر.



أنت أيها القادم على الجمر

هداية وحيرة وعجب

أخي: بداية أحيّيك أن اخترت الهداية بعد الغواية، وحللت النور بعد الظلمة، والسعادة الأبدية بعد الشقاوة الأخروية، والجنة بعد النار –إن شاء الله تعالى– فاحمد الله أخي على نعمائه، واشكره على آلائه.

لكن أخي.. كأني بك وأنت ترقب الجمع، وتُبصر الناس؛ فترى من جاء.. ثم عاد، ومن أتى.. ثم ذهب، ومن عرف.. ثم أنكر، ومن دخل.. ثم خرج، فالإمام العود..؟! وإلى أين الذهاب..؟ وعلام الإنكار..؟! لماذا الخروج..؟!

هل لعيب عرفوه؟! أم منكر هجروه؟! أم لنقص تركوه؟! أم خلل أدركوه؟! أم لأمر آخر أبصروه؟!

وكأني بك وأنت في أول أمرك؛ إذ علاك من الأمر عجب، ووسمتك منه غرابة؛ وربما خوف ووجل، وقد خالطت ذاك منك حيرة؛ ورغبة في السؤال، أو قيل من استفسار؛ فإليك البيان الشافي، والجواب الكافي؛ فتمعنه أخي ولا تعجل فالخطب جلل، وابدأ معي وإليك القصة منذ الوهلة الأولى، حتى تفهم فتغنم، ولا تسئ فتندم، وأسلم لي عقلك قليلا؛ وعد بذاكرتك؛ واطو صفحات الأيام والأحقاب من الأزمان، وانظر حينذاك إذ "**كان الله ولم يكن شيء قبله** –وفي رواية غيره: **وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السموات والأرض**".

ثم سافر معي قليلا بعد أن خلق هاتين وما فيهما؛ حتى إن قال لملائكته: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا﴾ [البقرة: ٣٠]، سائلين مستفسرين إذ هم في هذا جاهلون غير معترضين: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾..؟! فإن كان للعبادة: فنحن عبيدك المطيعون الذين لا يخالجنا أدنى أمر لمعارضته أو نصب ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ فأجاب العليم الخبير إذ ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

فالأمر عظيم لا يُعرف ولا يُدرك..!! فأمر من يأتيه بالطين –لا من قصور ولا عجز إذ هي بداية الرحلة– فخلقه وسواه وعدله، وفي أي صورة ما شاء ركبه، حتى إذا نفخ فيه الروح؛ أمر ملائكته ومن هو بينهم بالسجود له احتراما وتكريما ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠].

لكن..!! بقيت هامة لم تنحنِ ولم تهو سجودا، وظلت شامخة تتطلع للذل والمهانة بعصيان آمرها. من هو يا تُرى..؟!

أنت أيها القادم على الجمر
وتارك السجود هذا

إنه المكرم الذي تفضل عليه، وأعليَ قدره، ورفعت منزلته ومكانته، فما صان وما شكر، بل استغنى وكفر، وفسق وفجر؛ حين سأله رب العزة سبحانه ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢]..؟! ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾

[ص: ٧٥]، ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾؟..! [الأعراف: ١٢].

فأجاب الجواب الذي أذله وأبعده، وخلد اسمه في عداد الهالكين، فما كان جوابه المنحوس، وما كان رد المنكوس..؟!

هو أن قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

فيا لها من سخافة، ويا له من عقل مكدود؛ لا يستحق حتى أن يُناقش أو يُناظر؛ حقه الطرد والإنداد، والتشريد والإبعاد؛ فالله سبحانه غني عنه وعن العالمين؛ وهو -سبحانه وتعالى- حميد، فطرده وقال له ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾؟! [ص: ٥٧]، إذًا ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣]، المحتقرين المنزلين، وهيَّا ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ بل ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ وحالتك ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨].

وانظر -بعجب وحق لك أن تعجب- إلى وقاحته وقوة بأسه..!! إذا يطلب من ربه -جل وعلا- أن يُبقيه حيا حتى البعث؛ ويتودد في طلبه ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾- ويا للوقاحة..!! تودد وطلب.. امتناع وعصيان -فيقول الحكيم- في قوله وفعله سبحانه- مجيبا عليه: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٥]. لكن ليس كما طلبت؛ إنما ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٨]، إذ هو الموت، فليس عنه ملاذ ولا

مهرب؛ فالموت حتما ملاقيك، وذائق -أنت- مرارتـــه وشـــدته وسكرته، حتى إذا حان وحل ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَــوْتِ بِــالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾ [ق: ١٩] فهيهات.. هيهات:

هـــو المـــوت مـــا عنـــه مـــلاذ ومهـــرب
مـــتى حـــط ذا عـــن نعشـــه ذاك يركـــب
نؤمـــــل آمـــــالا ونرجـــــو حصـــــادها
وفي كـــل يـــوم واعـــظ المـــوت ينـــدب

ولابد أن تعلم أن:

المـــوت بـــاب وكـــل النـــاس داخلـــه
يا لهـــف نفســـي بعـــد البـــاب مـــا الـــدار
والمـــوت كـــأس وكـــل النـــاس شـــاربه
قـــل لي بربـــك هـــل في الشـــرب تختـــار

وبعد أن وعده رب العالمين بالبقاء -ولو كان إلى الموت فقط- أعلن خُبثه وأفصح مُراده، وأظهر عداوته وكشف باطنه؛ إذ قـــال: ﴿**فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [ص: ٨٢].

يا للدهشة ...!! ويا للعجب...!! يغويهم أجمعين...!! فكيف تكون الغواية...؟! وكيف يعمل لها...؟!

اسمع إليه هو الذي يُبين ذلك؛ إذ ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ**

وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٦، ١٧]، وجماع فكري ومكري ﴿**لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾ [الحجر: ٣٩].

ويفصح أكثر إذ يقول: ﴿**لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ**﴾ [النساء: ١١٨، ١١٩]، ويبين مقدار هذا النصيب فيقول: ﴿**لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الإسراء: ٦٢].

يا الله...!! كم في هذا الكلام من قول ووعيد، وشدة وتهديد؟؟

لكن الجواب.. قول سديد، وتوعد بالقبيح والصديد، وكذا بالعذاب الشديد، فاسمع إلى الرب –سبحانه– إذ يجيبه على تلك التحديات المعلنة بقوله:﴿**لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الأنعام: ١٨] أنت يا إبليس وإياهم ﴿**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ**﴾ [الحجر: ٤٣، ٤٤]، ويثبت ذلك ويؤكده؛ إذ أنه عهد يُوفي به سبحانه ﴿**قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [ص: ٨٤-٨٥].

ويطرده الله ﴿**قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا**﴾ [الإسراء: ٦٣].

ثم انظر –أخي الحبيب– وتبصر في عظمة الله ووعيده؛ إذ يحثه على بذل الجهد لذلك؛ فالعذاب بقدر الجهد، ويبين له وسائله

ويكشفها له بأن: اذهب ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ﴾ [الإسراء: ٦٤]، وفي محصلة ذلك سأعيدكم وأرجعكم فأحاسبكم حسابًا أليمًا ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]، فهل له أن يحتج بقوله: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ [طه: ١٢٥]...؟!

إذًا يأتيه الجواب ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٦-١٢٧].

أنت أيها القادم على الجمر
مع الشيطان وأول المكر

واعلم أخي الحبيب: أن الشيطان ذو جهد عظيم، لا يكل ولا يمل، وأول أعماله أن جاء إلى أبوينا الأُوَل وهم آمنين في الجنة التي أدخلهما ربهما إياها –سكنوها، يأكلان منها رغدا حيث شاءا، والبلاء والاختبار في تلك الشجرة- فأزلهما الشيطان عنها بعد أن بذل قصارى جهده، وكأني بك تسأل.

كيف حدث ذلك...؟!

أجيبك أنه عندما جاء ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾ وما زال بهما ﴿وَقَالَ

مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأنعام: ٢٠]، وهذه الحيلة قد لا تنطوي عليهما لكن أخذ يعاودهما حتى إنه عقد الأَيْمان ﴿**وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ**﴾ [الأنعام: ٢١].

فيا للوحة الإخاء هذه المزعومة...!!

يا للنصح الذي هذبت هيئته؛ وما تزال تعلق به رائحة الغدر والخيانة، والحقد والمكر.

لكن أنَّى لهما أن يشماها، بل ومتى يشماها..؟! ﴿**فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ**﴾ فأكلا ونسيا ما قد قيل، فذكرهما الله بقوله: ﴿**أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ [الأنعام: ٢٢]، بل ونسيا الوصية، ألا وهي: ﴿**هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى**﴾ [طه: ١١٧]، ونسيا قوله للشيطان: ﴿**وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**﴾ [الإسراء: ٦٤]، والأمر وقع، أكلا بعد النهي؛ فحل بهما ما توعدهما به فحلت العقوبة ﴿**اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا**﴾ [طه: ١٢٣].

أنت أيها القادم على الجمر
والخطأ والعيب والتوبة ووصية الله

وليس عيبا أن يخطئ أحد، لكن عيبه الأكبر أن يبقى يُعاب، وآدم إنما هو من أخطأ فعاد —وبعد الطرد أذعن وعلم ما جناه

فانكسر وذل وصرخ نادما وزوجه ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، والله توعد من استغفره وأناب إليه أن يقبله؛ فهو الله الواحد الأحد، العليم الخبير، العزيز الحكيم، الغفور الشكور و﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

سبحانه وتعالى ربنا وبحمده ما أحلمه...!! سبحانه ما أعدله...!! سبحانه ما أرحمه...!!.

وبعد كل ذلك يتوب عليه...

ليس هذا فقط؛ بل ويوصيه الوصية الخالدة إذ ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الأعراف: ٢٤]، أبان العداوة له وذكره بها، وهي ما تزال لنبيه من بعده وإن زال؛ فيا بني آدم ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

و لم كل ذلك...؟!

يأتيك الجواب ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وتوعد ربنا الأعلى في وصيته كل من نسيها فأعرض أو تغافلها فصد أو خالفها فلوى رأسه وولى وأدبر؛ وهي ختام الوصية ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [النساء: ١١٩-١٢١].

بل إن تفكرت وجدت الوصية ليست حكرا على أحــد؛ ولا وقفا على أبينا فقط؛ بل هي عامة.

فيا من وطأت رجله ساحة الالتزام، ويا من ولج بيت التدين – بعد أن طرق بابه– تذكر الوصية؛ واحذر الشيطان حيث إنه عدو لك؛ فلا يخرجنك مما أنت فيه من التدين فتشقى ﴿**إِنَّ لَـكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى**﴾ [طه:١١٨-١١٩].

فلا جوع الغافلين يُصيبك، ولا عُري الساهين يُـداهمك، ولا ظمأ الضَّالِّين يعتريك، ولا ضحى الظالمين؛ وظلام الجهل يأتيك؛ إذ أنت في النور المبين، وعلى الصراط المستقيم ما دمت فيه، والقاعدة ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**﴾ [طه: ١٢٣].

أنت أيها القادم على الجمر
والنَّفس

واعلم أخي الحبيب: أنه ليس الشيطان وحده هو العدو الـذي يدلي بدلوه في هذه القضية بل أعداء كثيرون؛ وأحزاب عديـدون، فخذ على سبيل المثال:

حظوظ النفس ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي**﴾ [يوسف: ٥٣]، انظر إليها حين أغرت امرأة بمن ربته في بيتها...!

إنها امرأة العزيز التي غدا خبرها على ألسنة الناس أنها ﴿**تُرَاوِدُ**

فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠] هذه واحدة.

وانظر إلى ذلك الذي ازداد إعجاباً بنفسه؛ حتى طغت عليه — وأكمل القصة إبليس تقاسما البطولة فيها— إنه بلعام بن باعوراء، والخبر يتجدد كذلك في أمية بن أبي الصلت، واسمع إلى خبره حيث يأمر الله نبيه محمدا ﷺ —الرحيم بأمته— يأمره ربه بأمره —الذي يحمل رحمته في لباس التحذير— فيقول سبحانه وتعالى آمرا: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ**﴾ [الأنعام: ١٧٥-١٧٦]، فيا لقبح الصورة...!!

ولئن كانت كذلك فما بالك بالسريرة..؟! وهو الغرور الذي يجعل الإنسان وكأنه في برج عاج؛ حتى إذا علا به أعلاه زج به إلى الأرض منكساً؛ فلم يستطع الامتناع عن الهلاك، ويتذكر كل إنسان قوله سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [لقمان: ١٨]، فالنفس والشيطان قرينان وصاحبان؛ إن غفلت عنهما؛ قتلاك.

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم
فخالف النفس والشيطان واعصهما
وإن هما محضاك النصح فاتهم

أنت أيها القادم على الجمر
وصاحب السوء

وإياك أخي الحبيب وصاحب السوء؛ فإنه داء وبيل، وبلاء عظيم؛ يفتت صخر الإيمان، ويكسر صلب الأخلاق، ويوهن القلب والحياء.

واعلم أخي: أن الصاحب ساحب، وأن القرين بالقرين، وأن الناس أشكال كأشكال الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والدجاج مع الدجاج، والنسور مع النسور، والصقور مع الصقور، وكل مع شكله، والطيور على أشكالها تقع، «**والمرء على دين خليله**» ففر من خليل السوء فرارك من الأسد؛ فهو أجرب معدٍ يقودك إلى جهنم؛ إن أجبته قذفك فيها، وسيكون لك عدوا بين يدي الله الواحد الأحد ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾ [الزخرف: ٦٧].

وتدري تلك القصة التي ما تزال وما تفتأ وما تبوح العين تبكي كلما سمعتها، والقلب يفرغ لخبر ذلك الذي جاءه الهدى إلى قلبه فأخرجه صاحب السوء وألقاه قيد الكفر فمات، فكيف هو يوم القيامة؟! ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا**﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

فإذا تمعنت، وتدبرت، وتبصرت وجدته –الشيطان– بطل كل

قصة هابطة، ومؤلف كل خطيئة فادحة، ومخرج كل معصية مهلكة، يتردد معك أمام عينيك؛ وداخل أذنيك، إنه الشيطان.

وبالمقابل اسمع إلى من نجا من صديق السوء؛ حين يفرق بينهما فمن نجا ففي الجنة؛ والذي كان صاحبه في النار، فرآه بعد أن بحث عنه؛ بل كان يحدث به أصحابه وأهله في الجنة، فأصغ لـه حين يقول: ﴿**إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ**﴾ فيناديهم المنادي وهم على ذلك الحديث: ﴿**قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ**﴾ [الصافات: ٥٤-٥٧].

فيا لسعادته حينذاك إذا نجا، ففر من صديق السوء فرارك من الأسد، ولا تنس.. أن «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»...!! وضع نصب عينيك أن «**المرء مع من أحب**» حشرا وجمعا.

أنت أيها القادم على الجمر
والهوى

واعلم أخي الحبيب: أنه من أخطر ما أجيب سؤالك به داء الهوى، فلكم فتَّ من عظم، وأوهن من قوة.

وانظر في حال من حولك ممن أرهبوك؛ وقل بربك ماذا

ترى..؟! هل رأيتم..؟! ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]، وقل لي بربك وأخبر ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]، وقد حذرنا ربنا من ذلك؛ ولكن لا قلب يعي؛ ولا أذن تسمع حيث قال: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى﴾؛ فلا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وحينذاك ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

أنت أيها القادم على الجمر
والدنيا

واعلم أخي —وإن أطلت عليك-: أن تلك الأدواء تُعرض في حديقة جميلة؛ هي محل تصوير صبغت جدرانه بكل لون ساطع أخّاذ، ذلك المحل هو الدنيا؛ فإنها حلوة خضرة قد جملها الله لحكمة؛ إذ يقول ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

وهي متاع ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

ويقول سبحانه مبينا الحقيقة: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وهي مثلما قال القائل:كامرأة

عجوز هرمة؛ تجملت فارتدت أجمل الثيــاب، وصــبغت بأجمــل العطور؛ وأزكى الروائح، وظهرت بأبدع الصور، ثم أشعرت أبوابها ودعت للدخول؛ ويا لكثرة الداخلين إذ هم عميان هلكى، ومــع ذلك هي لا تعدل عند الله شيئا بنص قول حبيبــك محمــد ﷺ إذ يقول: «**ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما ســقى الكافر منها شربة ماء**».

هذا ويلوح لي ولك في الأفق قول الشاعر:

إني ابتليـــــت بـــــأربع مـــــا ســـــلطت
إلا لأجـــــــل شـــــــقاوتي وعنـــــــائي
إبلـــــيس والـــــدنيا ونفســـــي والهـــــوى
كيــــف النجـــــاة وكلـــــهم أعـــــدائي

تلك الأربع جمعها صاحب السوء في جيبه وبذلك أتمت هـــي وإياه الخمس ولك سادسة؛ ربما أجهدت قوى الصالحين، وأغممت الطائعين، وأحزنت العابدين أبينها لك لتكون الخاتمة، إنها:

أنت أيها القادم على الجمر
والصد والإعراض والألم المرير

بل النقد الذي يجده الإنسان من قريب أو حبيب.

آه... آه.. ما أشده، وما أمرُّه؛ حيث يقف ضدك من كنــت تنتظره سندا لك، ودافعا إياك نحو ما اخترت من الخير...!

ما أقسى أن يقف على باب الهداية أب يصـــد ابنـــه كـــي لا يدخل، ويمنعه من أن يلج...!

ما أشد أن يكون القريب أو الحبيب هو الذي تكفل بـــالإغراء والفتنة كي تتنكب، وترجع القهقرى إلى الوراء، وتترك حياتك التي اخترت.

فإن كان كذلك فلا تبتئس بما كانوا يصنعون إذ أن القـــدوة العظمة رسول الهدى ﷺ وقف في وجهه عمه —أقرب الناس إليه– إذ علاه بسخط الكلام فنطق: تبا لك، ألهذا جمعتنا..؟!

ثم تبصر في حاله إذ لم يقف عند هذا بل كان يتبعـــه ويســـير خلفه ويحثو التراب على رأسه، ويقول للناس: هذا ابن أخي أصابه طائف من الجن فلا تسمعوا له.

ليس هذا فقط بل انظر إلى ابن عمه —أبي جهل– إذ يقف أمامه ويسبه، ويأمر بوضع سلا الجزور على ظهره وهو ساجد، وأكثر من ذلك يرفع صخرة عظيمة ليهوي بها عليه وهو يصلي.

وقل غير ذلك الكثير.

ومن أصحابه من يوثق بالحبال في البيت كي لا يخرج إلى محمد ﷺ والنور الذي اختاره بعد الظلام، وهكـــذا ســـنة الله في خلقـــه دواليك.

أنت أيها القادم على الجمر
والمجتمع من حولك

وانظر أخي لمن هم في غمرة الضلال ساهون، وفي سكرة الغفلة يلعبون، مجتمع يدعو إلى الرذيلة، اعتاد المنكر، وتشرَّب بالبعد عن ذكر الله إلا من رحم ربي فكيف بنور بين هاتيك الظلم..؟!

إذا أدركت ذلك؛ فاعلم أن البناء صعب جدّ صعب، والهدم سهل جدّ سهل، فما يبنى في مئات الأعوام من المدن والقرى والقصور والدور يمكن هدمه في لحظات، وما يبنى من الأخلاق والقيم والمثل في قرون يمكن هدمه في أيام وليال، ما رأيك أخي الحبيب إن كان هناك ألف... ووراءهم هادم واحد، فهل يقوم البناء؟

كلا، لا يمكن أن يقوم.

فما رأيك إن كان الباني واحدا والهادم ألفا..؟!

وسائل في غالبها تهدم، ومجتمع في بعض أفراده يهدم، ومدارس في بعض أفرادها تهدم، وشوارع تهدم، وأندية تهدم، وبناة قلة إذا قيسوا بهؤلاء الهدامين، لكن..

الحق يعلو والباطل يسفل، فهل يستقيم الظل والعود أعوج...؟!

أنت أيها القادم على الجمر
والباقي في غفلته والعائد في هدايته

أخي الحبيب: هل تبصرت في حال من لم يزل على جهله وغيه، بل في لهوه ولعبه، بل يلهث وراء كل منكر، ويجني كل معصية.

هل تبصرت في حال من تنكب الطريق وعاد إلى حياة الجاهلين الذين يعيشون بلا هدف ولا مقصد، تركوا الحق بعدما عرفوه، وأعرضوا عنه وهجروه، فويلهم من الله كيف تولوا إلى الغواية بعد الهداية...؟!

ويلهم من الخزي والعار الذي يلاقونه حين يقابلون الجبار سبحانه، حين يخرجون من الأجداث –القبور– كأنهم جراد منتشر، تسوقهم الملائكة بسياط من نار إلى أرض المحشر، فيرون السماء وقد انشقت وانفطرت، والأرض مدّت وألقت ما فيها وتخلت، والقبور بعثرت، والشمس كورت، والنجوم انكدرت وتناثرت، والبحار سجرت فتأججت وتفجرت، والجبال سيرت ونسفت، وذراها الله قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، فقل لي بربك:

كيف هم حين يأتون أمام رب البرية..؟!

وكيف يجيبونه حين يسألهم –وهو أعلم بهم–..؟!

ثم كيف ترى يكون حالهم حين يختم الله على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم فتتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا

يصنعون..؟! فيعجبون وينكرون عليهم:

سحقا.. سحقا، وبعدا.. بعدا.. عنكن كنا نناضل..! عنكن كنا ننافح...!! فتقول –مجيبة عليهم-: ﴿**أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [فصلت: ٢١].

فاسمع أخي كيف يلامون ويعاتبون: أن كنتم تفعلون ﴿**وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [فصلت: ٢٢-٢٣].

وكأني بك تسأل عن حالهم ﴿**فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ**﴾ [فصلت: ٢٤].

وكأني بك أدركت –ما قلته لك سالفا- سبب ذلك، وهو يعاد ليعرفه ويذكره كل أحد فلا ينساه ولا يتجاهله ﴿**وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ**﴾ [فصلت: ٢٥].

وفي نهاية الأمر والمطاف ﴿**ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**﴾ [فصلت: ٢٨].

أنت أيها القادم على الجمر
وتحسر النادمين

وكيف بك أنت أخي الحبيب حين تسمع تحسر النادمين -إذ لا تنفع- ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]، ولا ندمهم حينذاك عندما تسمعهم ينادون ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩]، فذاك زيف لا ينفع؛ لأنهم كانوا يعلمون قوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

كيف بك أنت أخي الحبيب ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٣-١٥].

أنت أيها القادم على الجمر
والتذكرة

واعلم أخي الحبيب: أنما هذه الدنيا سويعات؛ ثم يأتي الأجل، وبعد تأتي القيامة التي نسيها كثير من أولئك ﴿**فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى**﴾ [طه: ١٦]، مع الهالكين المتساقطين على طريق الهداية، واحذر أخي منهم.

ونصيحتي لك أخي وإياك ربنا -جل وعلا-: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا * وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [الكهف: ٢٨-٣١].

أنت أيها القادم على الجمر
ومشقة الطريق

ثم اعلم أخيرا: أن الطريق الذي اخترته شاق جدّ شاق؛ فقد ناح فيه نوح، وفيه أُلقي في النار الخليل، وفيه كلّ موسى، وقُتل فيه زكريا، وذُبح فيه الحصور يحيى، وفيه كاد يُصلب عيسى، وأبلغ من ذلك فيه ما تقف عليه من بلاء وفتنة تعرض لها رسول الأنام وسيد

المرسلين وأفضل خلق الله أجمعين والمبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، فلكم لاقى في هذا الطريق...!!

أُدميت قدماه، وطرد، وبُصق على وجهه، وخُنق بردائه، وضُرب بالحجارة على وجهه، وديس على رقبته، وكسرت رباعيته، ودخل المغفر وجنتيه...

ومع ذلك كله يتنزل عليه قول ربه: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

ويُسليه ربه، ولنعتبر إذ هي الجنة أخي؛ والطريق إليها شاق لقوله: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ [البقرة: ٢١٤].

فهو البلاء والاختبار ولابد منه، وتراه يصيب كل من ادَّعى أنه على الصراط المستقيم.

فإن أصابك، فاصبر واعلم أن المؤمنين إذا أصابتهم المصائب، وداهمتهم الشدائد؛ فهم يعلمون أن ما حصل قد كُتب من قبل، فليس هناك إلا التسليم، وأن الخيرة لله، وليس معهم إلا الثقة بحسن اختياره، وأن اليسر سوف يعقب العسر، ويعلمون أن علاج المصيبة

حسن ظن لا يغلبه بأس، وثقة لا يغلبها قنوط، وصبر لا يهزمه جزع، وتفاؤل لا يعرض إليه إحباط، وتسليم لا يخامره اعتراض، وضع نصب عينيك أن الرقعاء والسخفاء سبوا الخالق الرازق جل في علاه، وشتموا الواحد الأحد لا إله إلا هو، فماذا أتوقع أنا وأنت ونحن أهل الحيف والخطأ؟!

إنك أخي سوف تواجه في حياتك حربا ضروسا لا هوادة فيها من النقد الآثم المر، ومن التحطيم المدروس المقصود، ومن الإهانة المتعمدة ما دام أنك تعطي وتبني وتؤثر وتسطع وتلمع.

ولن يسكن هؤلاء عنك حتى تتخذ نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتفر من هؤلاء، أما وأنت بين أظهرهم فانتظر منهم ما يسؤوك، ويُبكي عينك، ويدمي مقلتك، ويقض مضجعك و....

ومع ذلك اعلم أنهم يغضبون عليك، لأنك فقتهم صلاحا، أو علما، أو أدبا، فأنت عندهم مذنب لا توبة لك حتى تترك مواهبك ونعم الله عليك، وتنخلع من كل صفات الحمد، وتنسلخ من كل معاني النبل، وبالأصح أن تترك التزامك وتدينك، وتبقى بليدا غبيا، صفرا محطما مكدودا، هذا ما يريدون بالضبط، والله أعلن بوعيد شديد، وتهديد أكيد لكل من تسول له نفسه بالتطاول على قداسة المنهج، وحرمة الدين، وحجاب حدود الله وسياج محرماته؛ بل من عادى الله وليا فقد آذنه الله بالحرب، وأخبر أن هناك رصدا ينتظر أهل السوء، وكمينًا مهيأ لهم لا يفلتون منه، وأن جزاءهم في الطريق وعقابهم وشيك، وأنه لو تأخر عنهم النكال فإنما هو لحكمة أرادها

الله -عز وجل-فربك وحاميك وناصرك بالمرصاد لأعدائك ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾ [الفجر: ١٤]، وما ألطف كلمة المرصاد ففيها من الخفاء على هؤلاء المفسدين ما يجعلهم في أمن الغفلة حتى يحل بهم الهلاك، ويفاجئهم الأخذ، ويباغتهم البطش، فالمرصاد نهاية حتمية لهؤلاء، ومصرع مأساوي ينتظرهم.

إنهم هكذا لترفع منزلتك، وترقى درجتك، وتكثر حسناتك، وتخف زلاتك، وتحمي سيئاتك، إذًا فاصمد لكلام هؤلاء ونقدهم وتشويههم وتحقيرهم، وكن كالصخرة الصامتة المهيبة ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا**﴾ [المزمل: ١٠].

ألا فاصفح الصفح الجميل، ألا فأعرض عنهم ﴿**وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**﴾ [التوبة: ١٢٧]؛ بل تستطيع أن تصب في أفواههم الخردل بزيادة فضائلك، وتربية محاسنك، وتقويم اعوجاجك.

أنت أيها القادم على الجمر
والجنة

أخي الحبيب: إن جعت في هذه الدار أو افتقرت، أو حزنت، أو مرضت، أو بخست حقا، أو ذقت ظلما فذكّر نفسك بالنعيم والراحة والسرور والحبور والأمن والخلد في جنات النعيم، ولو أن من هم على غير هذا خلعوا حجاب الران عن قلوبهم، وغطاء الجهل عن عيونهم لحدثوا أنفسهم بدار الخلد ونعيمها، ودورها وقصورها،

ولسمعوا وأنصتوا لخطاب الوحي في وصفها.

هل تأملت طويلا وصف أهل الجنة بأهم:

- لا يمرضون، ولا يحزنون، ولا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم.
- في غرف يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها.
- فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.
- يسير الراكب في ظل شجرة من أشجارها مائة عام لا يقطعها.
- طول الخيمة فيها ستون ميلا.
- أنهارها مطردة، قصورها منيفة، قطوفها دانية، عيونها جارية، سررها مرفوعة، أكوابها موضوعة، نمارقها مصفوفة، زرابيّها مبثوثة.
- تَمّ سرورها، وعظم حبورها، وفاح عرفها، وعظم وصفها.
- منتهى الأماني فيها.

فأين عقولنا لا تفكر؟! ومالنا لا نتدبر؟!

فإن كان المصير إلى هذه الدار فلتخف المصائب على المصابين، ولتقر عيون المنكوبين، ولتفرح قلوب المعدمين.

فيا أيها المسحوقون بالأكاذيب عليكم. المنهمكون بالسخرية منكم، المبتلون بالمصائب من هؤلاء، دعوا الكلاب تنبح والقافلة تسير، واعملوا صالحا لتسكنوا جنة الله وتجاوروه تقدست أسماؤه،

ولنصبر أخي ولنتصبر حتى يُقال لنا: ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ [الرعد: ٢٤].

فهي الجنة التي يقول فيها أبو ذر الغفاري –ذاك الصحابي العظيم–عن رسول الله ﷺ : "**ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**".

ويطربك ابن القيم بنونيته العصماء إذ يقول:

يا سلعة الرحمن رخيصة
بل أنت غالية على الكسلان

يا سلعة الرحمن ليس ينالها
في الألف إلا واحد لا اثنان

يا سلعة الرحمن ماذا كفؤها
إلا أولو التقوى مع الإيمان

يا سلعة الرحمن لولا أنها
حجبت بكل مكاره الإنسان

ما كان عنها قط من متخلف
وتعطلت دار الجزاء الثاني

لكنها حجبت بكل كريهة
ليصد عنها المبطل المتواني

وتنالها الهمم التي تسمو إلى
رب العلى بمشيئة الرحمن

وعجبت أخي أشد العجب –كما عجب غيري– للجنة؛ كيف

نام طالبها...!! وعجبت للنار كيف نام هاربها...!!

ومع ذلك فالجزاء بها –الجنة– يُنسي شقاء الطريق إليهـا، أمـا سمعت قول من دخلها فنادى فرحا مسرورا ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ * أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٨-٦٨].

وتبصر أخي في هذا ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ٧٣-٧٤].

أنت أيها القادم على الجمر
والبشارة

وبعد أن حييتك أخي في هذا الطريق، وأبنت لك أمره وحقيقته؛ أبشرك بقول الرب تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢]، كل ذلك لمن صابر واصطبر، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

[فصلت: ٣٥]، والله قد ذكر كثيرا؛ فتارة بقوله: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وأحايين أُخر بقوله: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢-٣].

وبقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [التوبة: ٢١].

وقوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

وقوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

وقوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

وقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

أنت أيها القادم على الجمر وخطاباتي

وها أنا ذا أخي أحمِّلك خطابا لمن سبقك على هذا الطريق فحواه:

أيها الأُباة الصادقون لا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، تصلحون ثم تفسدون، وتحسنون ثم تُسيئون، احذروا ﴿أَنْ

تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

واعلموا أن إقدام الصادقين لا يتوقف؛ فهو دائم صاعد مستمر إلى أن يصلوا إلى ما أملوا، هناك يرتاحون راحة الفاتح الذي حاز وسام النصر، والمجاهد الحاصل على الغنيمة، ولا يصلح العيش إلا لمن كان يومه أحسن من أمسه توقدا وعطاء وصقلا وتجربة ومضاء **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [العنكبوت: ٦٩]، وكما قال الإمام أحمد: الراحة عند أول قدم تطأ الجنة.

وكأني بمن تنكب الطريق، وهجر السعي يستمّع لجوابي هذا وقد يحرك فيه كامن أمل، ويشعل في قلبه بصيص نور، ويفز قلبه تذكرات لما كان عليه فيرد العود –والعود أحمد– أقول له:

لا تيأس من عودة قلبك القاسي إلى الخشوع، فعسى أن يلين مع مداومة الذكر، وأن تصبحه وتمسيه بالأوراد، وأن تشن عليه غارات من الدعاء في ميدان السحر، وساعة الاستجابة يوم الجمعة، وبين الأذانين، وفي السجود، وأدبار الصلوات..

فأدمن اللهج بالاسم الأعظم، وابتهل إلى مولاك في إصلاح قلبك، واستعن بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة، مع تدبر القرآن العظيم، فلعل آية منه تقع موقعها فتداوي جراح هذا القلب، وتُخرج صدأه، وتُزيل عِلَّته، وتُذهب عاهته.

أما إذا أَبَي.. فقل له: الحذر.. الحذر.. من غضب الجبار، إذ هو يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته، وذكِّره بقول خالقه:

﴿**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**﴾ [الأنعام: ١٨٢-١٨٣]، فإن شر الأمور ردة بعد إقبال. وقد ثبت عنه ﷺ أنه كان يتعوذ «**من الحور بعد الكور**» والسعيد من وُعظ بغيره لا من وعظ بنفسه حين يخسر ولا ينفعه.

أنت أيها القادم على الجمر
والوصية الأخيرة

وأخيرا أخي: أسأل الله أن يجعلنا وإياك ممن يُنادون في الآخرة ﴿**بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [الحديد:١٢]، وبيان ذلك ﴿**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ**﴾ [الزمر: ٢٠].

فاحفظ الله أخي يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وقف عند أوامره بالامتثال؛ ونواهيه بالاجتناب؛ وحدوده بعدم التجاوز يحفظك.

احفظ الرأس وما وعى؛ والبطن وما حوى يحفظك.

احفظ ما بين فكيك؛ وما بين رجليك يحفظك.

احفظ الله في الرخاء يحفظك وقت الشدة.

احفظ الله في صباك يحفظك عند قوتك وضعفك.

وتذكر قول مولاك -عز وجل-: ﴿**فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ**

أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وإذا استعذت فاستعذ بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك؛ أو يضروك بشيء فلن ينفعوك ولن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله لك، أو كتبه عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف، وتيقّن أن سهام الليل لا تُخطئ ولكن لها وللأمد انقضاء.

فإذا ادْلهمَّت الخطوب، وضاقت عليك الأرض، وعز الصديق، وقل الناصر، وزمجر الباطل، ودُعِمَ الفساد، وكُبت الحق، وعيَّر البخيل الكريم، وعيَّر العييُّ الفصيح، وعيَّر الظلام الشمس، وطاولت الأرض السماء سفاهة، وتظاهر بالوفاء كل خوَّان، ونطق الرويبضة، وغدا القرد ليثا، وأُفلتت الغنم، فوجه قلبك ونادي في ظلمة الليل ربا قريبا سميعا مجيبا: يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك، وارفع يديك إليه -فهو الذي لا يرد من سأله- وقل: يا ذا العزة التي لا تُضام؛ والركن الذي لا يُرام، يا من لا يُهزم جنده؛ ولا يُغلب أولياؤه؛ أنت حسبي ومن كنت حسبه فقد كفيته، حسبي الله ونعم الوكيل، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا؛ وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان؛ واجعلنا من الراشدين؛ وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه؛ وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، ووفقنا لاتباع الحق، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه، ابتغاء وجهك وطلب مرضاتك ﴿**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آَمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآَمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآَتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٣-١٩٤].

أسألك باسمك الأعظم أن ترزقني لسانا ذاكرا؛ وقلبا خاشعا، وعينا مدرارة؛ وإيمانا أجد حلاوته إلى أن ألقاك.

رباه.. إن حالي لا يخفى عليك، وذلي ظاهرٌ بين يديك، وأنا عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، يا مغيثا لمن لاذ بحماك، يا قريبا ممن دعاك، يا مُعيذ من استعاذ بك، أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تُجيرني من النار، ومن دار الخزي والبوار، وإن أردت بعبادك فتنة أن تقبضني إليك غير مُفرط ولا مفتون، أسألك وأنت الكريم رب العرش العظيم، أن تتوفاني مع المسلمين، وتلحقني بالصالحين، في زمرة النبيين والمرسلين، وأن تجعلني من عبادك المتقين الفائزين، إنك على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

أنت أيها القادم على الجمر
والختام الوداعي

وبعد هذه الرحلة؛ هاأنا ذا أودعك أخي الحبيب؛ راجياً —من الله– أني وفقت في خطابي إليك، وسددت في جوابي عليك، وعلى أمل اللقاء بك ومعك هنا أو هناك، فاستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، استودعك الله الذي لا تضيع ودائعه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم الكـــــــلام، وربنــــــا محمـــــــود
ولـــــــه المكـــــارم والعُلـــــى والجـــــود
وعلـــــى الـــــنبي محمـــــد صـــــلواته
مـــــا نــــاح قمـــــري وأورق عــــود

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

مراجع أوصيك بها

أخي الحبيب:

أوصيك للاستزادة في هذا الموضوع أن تعود إليه كل حين وتقرأ فيه في كل كتاب أو تسمع له كل شريط؛ فإن ذلك المعين بعد الله على الثبات وإن شئت صرحت لك بشيء من ذلك:

أولا: كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل بالهزل.. هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء.. ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وعد في معرفة مقاصده ومعانيه إلى التفسير، وخذ على سبيل المثال أيسر التفسير، والسعدي، وابن كثير.

ثانيا: سنة رسول الله ﷺ فهي الوحي الثاني؛ لأنه ﷺ أوتي القرآن ومثله معه؛ إذ تشفي الصدور، وتطيب الفؤاد، وتريح المكدود –بإذن الله– وتوثق من أخبارها، فالثابت خذه، والضعيف اردده، والموضوع انبذه، وعد في معرفة أسرارها إلى من كتب فيها وألف، وشرح وصنف، وأخص الستة والمسند، ولك أنت الأربعين ورياض الصالحين، والعمدة، والبلوغ، وابن باز وابن عثيمين والألباني –رحمهم الله جميعا– كتب جمة الفائدة فلا تفوتنك.

ثالثا: كتب في الوعظ والرقائق والتربية، فقد نظرت لهذه الرسالة واستفدت من كتب الشيخ عبدالعزيز السلمان على

الخصوص، والشيخ عائض القرني بقوله المنصوص.

رابعا: أشرطة مفيدة علمية وتربوية، واستشففت من شريط بعنوان هكذا علمتني الحياة للشيخ علي القرني، فلا تتورع أن تقصد التسجيلات لتنهل منها.

وأخيرا: لا تتردد أن تسأل كل ثقة عن كتاب ينفعك، أو شريط يسرك سماعه. وعسى الله أن يثبتنا وإياك على دينه حتى نلقاه. آمين.

فهرس الموضوعات

